اغنياء اميركا

يتوق الانسان طبعاً الى الوقوف على اخبار الغريب النادر . وهل من شيء اغرب واندر من حشد الكثير من المال في القليل من السنين . خصوصاً وان المال في هذه الايام قوة عظيمة يسعى كل واحد الى الحصول عليهِ ولهُ الشأن الاكبر في سياسة الممالك وشؤون الحياة

وقد فاق الاميركيون غيرهم في هذا المضمار واحرزوا من المال ما لم يحلم بهِ كسرى ولا قارون . وساذكر في هذه المقالة طرفاً من اخبارهم لان فيها فضلاً عن غرابتها فوائد كثيرة تهمُّ معرفتها مَن خاض معترك الحياة ولا يزال يغالب الايام فتغلبهُ تارة ويغلبها أُخرى

ويستفاد من هذه الاخبار ان الذين اثروا من الاميركيين كانوا متصفين بالهمة والاجتهاد والمواظبة وبُعد النظر واقتحام الاهوال التجارية والثبات على العمل ولو كان كلهُ خسارة في بدئهِ الى غير ذلك من المزايا التي لا غنى عنها لطالبي السبق في ميدان الحياة . ولكن الطبع غلاَّب والظلم من شيم النفوس فمتى ذاق المرء لذة الكسب هاجت اطماعهُ وضحى امامها كل ما فيهِ من عواطف الحنان وقال الحرب خدعة حتى اذا تمكن من مناظريهِ لم يشفق عليهم ولم يذر . فكم من الوف افقرهم الاغنياء بمطامعهم الاشعبية . ولو تتبعنا تاريخ كلٍّ منهم لرأينا انهُ بنى ثروتهُ على انقاض ثروة المئات بل الالوف من مواطنيهِ ومناظريهِ

ويلقب اغنياء اميركا بالاربعمائة وهم عدة بيوت يبلغ عدد اعضائها نحو اربع مئة نفس ويسكن اكثرهم الشارع الخامس من مدينة نيويورك فاذا قالوا ان فلاناً من الاربعمائة او من سكان الشارع الخامس قصدوا بذلك انهُ من ملوك الثروة في اميركا . ولو بقي اولئك الناس في بلدانهم التي نشأوا منها يجمعون باطماعهم اموال مواطنيهم ويفاخر بعضهم بعضاً بالابهة والترف لهان الامر على سكان النصف الشرقي من الكرة الارضية ولم يكن لنا فائدة كبيرة من استقصاء تواريخهم لكن اميركا ضاقت بهم فهاجموا اوربا هجوماً لم يرَ نظيرهُ منذ ايام تيمورلنك وجنكيز خان لا بالسيف بل بالدينار وجابوها من الغرب الى الشرق حتى انك لا تزور مدينة اوربية الاَّ رأيت الاميركيين فيها ينفقون الاموال الطائلة ورأيت اشراف العالم القديم وقد كانوا حتى الساعة يعتقدون انهم اغنى اهل الكرة يختبئون منهم خوفاً وخجلاً . فاعظم الاشراف في اوربا قد لا تتجاوز ثروتهُ المليون او المليونين من الجنيهات واغنياء اميركا قد ينفق الواحد منهم في سنتهِ ما ينيف على ذلك وهو آمن مطمئن . ولم ينحصر النزاع في المسائل الاجتماعية بل تعدَّاها الى المسائل التجارية والاقتصادية . فالشركات الاميركية تبيع الحديد والزيوت والفحم

والمصنوعات المختلفة في اوربا بارخص مما تبيعها معامل اوربا نفسها . وانكلترا اعظم البلدان الصناعية قد بليت بمزاحمة اميركا لها في مستعمراتها حتى في نفس عاصمتها لندن حيث بنوا الترامواي الكهربائي على عمق عشرين متراً تحت سطح الارض من منتصف المدينة الى غربيها وهم شارعون الآن في ابتياع جميع السكك الحديدية التي تحت الارض في تلك العاصمة لتحويلها الى ترامواي كهربائية وهذه السكك ممتدة تحت اكثر شوارع المدينة . وقد قام بعض اعضاء البارلمنت ينتقدون على الحكومة ميلها الى مساعدة التجارة الاميركانية فتبرأ الوزراء من ذلك واثبتوا ان لا سبيل لايقاف تيار البضائع الاميركية الجارف الا بسعي المعامل الانكليزية في تحسين بضائعها وسرعة عملها وبيعها باثمان البضائع الاميركية . وقد دخلت تجارة اميركا هذا القطر منذ بضعة اعوام فاشترت الحكومة المصرية بعض القاطرات والعربات من اميركا وانشأ الاميركيون كبري نهر الاتبرة الذي قامت له قيامة الجرائد الانكليزية واصحاب المعامل في انكلترا

وجميع ارباب المال في اميركا او كما يدعونهم غالباً ملوك الثروة فيها من اصل فقير ولدوا في اميركا او هاجروا اليها طلباً للرزق فابتسم لهم السعد وخدمتهم الايام حتى صاروا على ما هم عليه . وهاك تاريخ بعض المشهورين منهم

(١) جون ركفلر ملك الزيت .

وهو اغنى اهل العالم وتقدر ثروته بثمانين مليوناً من الجنيهات ودخله اليومي نحو تسعة آلاف جنيه . وقد كانت ثروته سنة ١٨٥٥ الف جنيه فقط ثم صارت سنة ١٨٧٠ عشرة آلاف جنيه وبلغت سنة ١٨٧٥ مئتي الف جنيه وسنة ١٨٨٥ عشرة ملايين جنيه وسنة ١٨٩٠ عشرين مليون جنيه وتبلغ اليوم نحو ثمانين مليوناً كما تقدم

بدأ ركفلر باحتكار زيت البترول والزيوت التي تستعمل لتزييت الآلات البخارية ونحوها منذ نحو ثلاثين سنة وكان له ندٌّ اسمه جورج ريس يخرج من معمله الذي ينقي فيه زيت البترول مئة الف برميل سنوياً فاهتم ركفلر حتى تمكن من بيع زيته باقل مما كان يبيعه ريس . ولما بحث هذا عن السبب وجد ان شركات السكك الحديدية تلزم معامل الزيت المكرر ان تضع زيوتها في براميل يوشحنها في عربات الشركة اسوة ببقية البضائع مع انها تسمح لشركة ركفلر بنقل زيتها في عربات مخصوصة كالصهاريج الكبيرة فلا تدفع شيئاً اجرة نقل الزيت مع ان بقية المعامل تدفع اجرة نقل الزيت ونقل البراميل التي فيها الزيت فتدفع نحو ٣٠ جنيهاً عن شحن كل عربة زيادة عما يدفعه ركفلر . وظن ركفلر ان ريس قد يئس من الفوز في

المزاحمة فعرض عليهِ ان يبيع معملهُ و يعتزل تجارة الزيت فابى هذا واصرَّ على رفع دعواهُ الى المحاكم فرفعها و بدئَ بالتحقيق فاتضح ان رئيس شركات السكك الحديدية ومديريها هم ركفلر وشركاؤهُ مديرو معامل الزيت وانهم يتملكون نحو خمس السكك الحديدية كلها في اميركا فكانوا ينقلون الزيت على نفقة الشركات ثم يعود الربح لهم ٣٠ او ٤٠ في المائة

وبينما كان التحقيق جاريًا خلا الجو لركفلر ولم يبقَ لهُ مزاحم اذ اقفلت معامل تكرير الزيت كلها لعجز اصحابها عن مجاراتهِ . ثم رفعت الدعوى الى المحكمة فحكمت بحل شركة الزيت وبان لا حق لشركات السكة الحديد ان تجري على تعريفتين مختلفتين لنقل الزيوت . وظن ريس انهُ فاز ببرامهِ ولكن فوزهُ هذا كان ظاهرًا فقط فان ركفلر التجأ الى السلطة الادارية لما خسر دعواهُ امام السلطة القضائية ففاز وبقيت شركة الزيت على حالها وبقيت شركات السكك الحديد تأخذ أجرة نقل الزيوت من ركفلر اقل مما تأخذ من غيرهِ وكان ذلك سنة ١٨٨٧ وسنة ١٨٠٢ حكمت المحكمة ثانية بحل شركة الزيت فادّعى ركفلر انهُ اذعن لحكمها غير ان انهُ اذعانهُ كان وهميًّا فانهُ ابدل اسهم الشركة باسهم أُخرى ولا تزال اعمالها جارية الى الآن رغماً عن احتجاج المحكمة . وقد وزعت هذهِ الشركة الارباح على مساهميها بين ٢١ مارس سنة ١٨٩٢ تاريخ صدور الحكم بحلها وشهر سبتمبر سنة ١٨٩٨ ستًّا وعشرين مرة على معدل ١٣٧ في المئة من رأس المال اي ان كل مئة ريال ربحت ١٣٧ ريالاً . ولما كان رأس الشركة عشرين مليونًا ونصف مليون من الجنيهات كانت ارباحها في هذه المدة ثمانية وعشرين مليونًا من الجنيهات

ولركفلر سلطة عظيمة قلَّ ان يضارعهُ فيها احد ومعيشة الوف من الناس تتوقف على البقاء في خدمتهِ . فعندهُ ٢٠ الف عامل في معامل الزيت عدا عن بحّارة سفنهِ البخارية وعددها مئتا سفينة وهو يتملك سبعين الفًا من عربات السكة الحديد المخصصة لنقل الزيت ولهُ اسهم كثيرة في جميع شركات السكك الحديدية في اميركا . قيل انهُ طلب يومًا من شركة سكة حديد بنسلفانيا ان تأخذ من بقية معامل الزيوت ضعفي الاجرة التي تأخذها من معملهِ فأبى مديروها ذلك اولاً ولكنهُ توعدهم جميعاً بالعزل ولما رأوا ان اكثر اسهمها لهُ خضعوا لاوامرهِ صاغرين . وقد فعل مثل ذلك بعدة شركات من شركات النقل حتى باتت كلها طوع يمينهِ يديرها كما يشاء

والظاهر ان ركفلر قد نضب من الجهاد وهمومهِ وعزم على الاعتزال . خطب حديثًا في احدى جمعيات الاحداث في نيويورك فقال : —

ما هو النجاح أهو جمع المال ان افقر انسان اعرفهُ ليس عندهُ سوى المال . ولو خيرت لفضلت ان اكون فقيرًا ويكون لي غرض اسعى اليهِ

ثم ذهب مساء اليوم الذي القى فيهِ هذهِ الخطبة الى نادي التجار فاجتمع حولهُ اصدقاؤهُ اذ رأوا عليهِ امارات التعب والهم وسألوهُ عما شاع عن عزمهِ على اعتزال العمل فاجاب نعم وادفع راتبًا سنويًا مئتي الف جنيه لمن يتولى اعمالي كلها نيابة عني وعليهِ ان يعرف جيدًا صناعة استخراج الزيت وتنقيتهِ وادارة السكك الحديدية وكيفية استخراج الحديد وقيمة العقارات وان يكون قد اتقن ادارة شركات النقل البحرية واعمال البورصة ويكون غاية في الامانة

فقاطعهُ احد الحاضرين وقال ماذا تعني بالامانة

فاجاب : على من يريد النيابة عني ان يكون امينًا لي ويحرص على مالي حرصهُ على مالهِ الخصوصي ولو ادّى ذلك الى ابطال تجارة الغير . وبعبارة اخرى انهُ يجب على نائبي ان يضحي مثالاً امامهُ في العمل . ثم قال العلمون انهُ عدا اشغال شركة الزيت التي لي (وهي المعروفة باسم الستاندرد أويل) والاشغال الاخرى المعروفة عليَّ مراقبة ٣٨ الف ميل من السكك الحديدية . ثم تنهد وقال من يأتني بالرجل الذي اطلبهُ ادفع اليهِ عشرين الف جنيه وخرج من النادي الى بيتهِ مثقلاً بهمومهِ وغمومهِ

وان يكن ركفلر اضرَّ بقليلين من الاغنياء الذين ناظروهُ اي قلَّل ثروتهم فقد افاد كثيرين من غيرهم لان هباتهِ للمدارس تقدَّر بالملايين وقد بلغت منذ خمس سنوات نحو ثمانية ملايين من الريالات وزادت عليها كثيرًا بعد ذلك

(٢) هنري هفمير ملك السكر

بدأ هنري هذا واخوهُ ثيودور باحتكار السكر سنة ١٨٨٨ بمساعدة بعض الماليين وكان عملهما مقتصرًا في اول الامر على المضاربة فلما احتكرا السكر في جزائر الانتيل وفي اوربا اخذا يحددان الاسعار حسبما يشاءان فلم تمضِ عليهما سنتان حتى ربحا بضعة ملايين من الريالات فوسَّعا اعمالهما وكان لهما مناظر كبير وهو شركة النهر الشمالي لتكرير السكر فارسلا اليها بلاغًا نهائيًا لتبطل العمل ولما ابت اعلنا عملاءها انهما يبيعانهم السكر باقل مما تبيعهُ هي عشرين في المئة فاقبل الجميع عليهما وهبطت اسهم شركة النهر الشمالي هبوطًا فاحشًا ثم اعلنا العملاء بعد مدة ان اسعار السكر عادت الى ما كانت عليهِ بزيادة ٢٥ في المائة فعادوا كلهم الى شركة النهر الشمالي ولكنهم وجدوا اسعارها زادت ايضًا وذلك لان هفمير واخاهُ اشتريا اسهمها كلها

بسبعين الف جنيه ليأمنا مناظرتها ثم باعاها بعد ذلك بشهر الى جمهور المساهمين بمئة واربعين الف جنيه . وفي السنة التالية عادوا الكرة على هذه الشركة وفعلا بها كما فعلا اولاً وحاجما شركتين آخرين واضطراهما الى الخضوع واشتريا اسهمهما بثمانية وعشرين الف جنيه ثم باعاها بثمانين الفاً وبذلك تمَّ النصر لهنمير وصار ملك السكر بلا منازع . وتزيد ثروتهُ الآن على خمسين مليوناً من الجنيهات وربحهُ السنوي نحو اربعة ملايين فانهُ يبيع سنويًّا نحو مليون ومئتي الف طن من السكر وذلك يعادل اربعة اخماس مقطوعيتهِ في الولايات المتحدة

وهو يمتلك اثنين وعشرين معملاً لتكرير السكر متفرقة في انحاء البلاد وعدد العملة فيها نحو عشرين الفاً . ولهُ عدا ذلك معامل لعمل البراميل ولعمل الفحم الحيواني الذي يستعمل لتكرير السكر ولقطع الاخشاب اللازمة للبراميل و يبلغ عدد العملة في هذه المعامل التكميلية نحو عشرة آلاف

وقد تشكلت لجنة من اعضاء مجلس الشيوخ في اميركا لفحص احوال الشركات الكبيرة التي احتكرت تجارة البلاد فقرر هنمير ان قيمة شركتهِ ثلاثون مليوناً من الجنيهات وربحها السنوي نحو ستة ملايين اي ٢٠ في المائة ونفقاتها السنوية نحو ستة ملايين ونصف من الجنيهات واجور العمال منها اكثر من ثلاثة ملايين ونصف . وفي معامل الشركة ٢٧٥ آلة بخارية مجموع قوتها اربعة وثمانون الف حصان وهي تعمل دائمًا وتحرق يوميًّا الفين وثمانماية طن من الفحم الحجري وسبعة عشر الف متر مكعب من الماء و يصدر يوميًّا من معاملهِ خمسة واربعون الف برميل من السكر . ولم يكتفِ بالبيع بالجملة بل تراهُ يزاحم الباعة بالتفاريق حتى اضطرهم ان يبيعوا بالاسعار التي يحددها لهم . ومركز شركتهِ في نيويورك في وال ستريت وغرفتهُ بسيطة الاثاث جدًّا ومنها يدير معاملهُ العظيمة والثلاثين الفاً من العملة الذين يموتون لموتهِ ويحيون لحياتهِ و يصدر اوامرهُ المطاعة الى جميع تجار السكر في اميركا . ويقدرون انهُ اذا استمرَّ سائرًا على هذه الخطة لا تمضي سبع سنوات او ثمان حتى تصبح اسواق السكر في اوربا ايضاً طوع امرهِ

(٣) روبرت نَيط ملك القطن

وهو اشد اصحاب الثروة صرامةً في معاملة مستخدميهِ مع ان ما قاساهُ في صباهُ كان يجب ان يجعلهُ ارأف الناس بالذين عضهم ناب الفقر واضطرهم الى العمل في معاملهِ

ولما كان في الثامنة من عمرهِ كان يعمل اربع عشرة ساعة في اليوم في احد مغازل القطن و يأخذ ٢٥ غرشاً في الاسبوع واذ رآهُ صاحب المعمل على جانب كبير من النباهة والاجتهاد

عينهُ كاتباً وجعل راتبهُ الشهري ١٦ جنيهاً . وكان صارماً ذا همة في العمل لا تعرف الكلال وخبرة في اشغال القطن قلَّ ان توجد عند غيرهِ فسُرَّ بهِ صاحب المعمل كثيراً وجعلهُ شريكاً لهُ ولم يطلب منهُ ثمن حصتهِ (وكانت ٣٨ الف جنيه) بل ضرب لهُ موعداً لإيفائهِ . وبلغ دخلهُ اول سنة نحو الف وخمسماية جنيه . ولما بلغ السادسة والعشرين من عمرهِ تخلَّص من صاحب المعمل الذي كان سبب نعمتهِ واشرك معهُ اخاهُ

وكانت تجارة القطن في اميركا محصورة كلها تقريباً في شركة سبراج غير انها ابتليت ببعض الخسائر فاستغنم نيط الفرصة وهاجمها بكل قواهُ ولم تمضِ سنتان حتى افلست فاشترى معاملها بما هو دون الطفيف وبذلك اصبح هو واخوهُ المالكين لتجارة القطن في اميركا

ومدار عملهِ في مقاطعة بروفيدنس وفيها ٥ اقرية متشابهة البناء وكلها ملك لهُ . وتوفي اخوهُ منذ مدة فاصبح المالك الوحيد لها . ولهُ ٢١ معملاً يعمل فيها نحو ٧٥٠٠ عامل . ويبلغ عددهم مع نسائهم واولادهم نحو ثلاثين الفاً لا ملجأ لهم في الدنيا سواهُ

ومن غريب امرهِ انهُ يحب الاشجار والمناظر الطبيعية حباً يفوق الوصف ولما كان احد معاملهِ مبنياً في غابة غبياء لا تكاد اشعة الشمس تخرقها اضطرَّ ان ينير المعمل بالكهربائية مفضلاً ذلك على قطع اشجار الغابة ولا يزال مصرًّا على ذلك رغماً عن ابتلاء كثيرين من عمالهِ بامراض العيون وهو يبيع عمالهُ جميع لوازمهم من مأكل ومشرب . والطبيب والقسيس والمعلم من مستخدميهِ يصدعون بامرهِ حتى ان المعلم لا يلقي عليهم من الدروس الاقتصادية والسياسية الاَّ ما يوافق رأيهُ

ويمكن تقدير ثروة هذا الرجل هكذا : إن عندهُ في معاملهِ للغزل والنسيج ٧٥٠٠ عامل ولا تكون اجورهم في اليوم اقل من ثلاثة آلاف جنيه ولا تكون في السنة اقل من مليون جنيه . واجور العمال في معامل القطن تساوي ١٥ في المئة من رأس مالها فيكون رأس مالهِ ستة ملايين وستمئة الف جنيه لكنهُ يربح منها في السنة مليون جنيه على الاقل ولو حُسب هذا الربح ربا لرأس مال على معدل ٥ في المئة كان رأس مالهِ عشرين مليوناً من الجنيهات وهو على ازدياد ستأتي البقية

نسيم بريادي